ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Dr. Ali Sadiq Kazem Al-Mousawi

University of Wasit / College of Education for Human Sciences

Email: alisadiq@uowasit.edu.iq

Keywords:

Style , aesthetics, division , rhetoric

A r t i c l e i n f o

Article history:

Received 20.Oct.2025

Accepted 23.Nov.2025

Published 25.Febr.2026

The beauty of the eloquence of the Qur'anic division style

A B S T R A C T

The Architecture of Division – A Visionary Recomposition of Reality

"Division (Al-Taksim) is not merely an instrument of arrangement; it is a formative strategy that architectects a rhetorical cosmos parallel to reality. It breathes life into abstract notions, transmuting them into vivid tableaus where elements converge to forge a dynamic spectacle. By materializing the conceptual into visual entities, it reconfigures the contours of human consciousness, migrating from the realm of mere exposition to the heights of visual philosophy—a quest for an existential harmony through the symphony of discourse.

Division serves as a surgical dissection of the text, peeling back its linguistic skin to reveal its profound inner architecture. It functions as an 'ideational tomography,' exposing the occluded layers of thought while weaving the scientific rigor with aesthetic grace. It does not merely display fragmented parts; it births new relational kinships among them. Thus, Division emerges as a profound metaphor for our fragmented contemporary existence, reassembling the shards of reality into harmonious aesthetic constellations. It is a linguistic endeavor to mend the broken world. This transformative vision elevates Division from a mere rhetorical ornament to a visionary methodology—one that conjures parallel worlds and redefines our covenant with language and reality through the creation of imagined, intellectual-visual landscapes

© 2026 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol62.Iss2.4962

جمال بلاغة أسلوب التّقسيم القرآنيّ

أ.م.د علي صادق كاظم الموسوي
جامعة واسط / كُلِّيّة التَّربية للعلوم الإنسانيَّة

الملخص :

ليس التقسيم مجرد أداة ترتيب، بل هو استراتيجية تكوينية تخلق نظامًا خطابيًا موازيًا للواقع. يحوّل المفهوم المجرد إلى مشهد حي تتقاطع فيه العناصر لتشكّل لوحة متحركة فيعيد تشكيل الوعي عبر تحويل المفاهيم إلى كيانات بصرية قابلة للتجسيد. فينقلنا من مستوى العرض إلى مستوى الفلسفة البصرية، من خلال تنظيم الكلام بحثًا عن نظام وجودي.

يمثل التقسيم عملية تشريح، إذ يُفكك النص ليكشف عن بنيانه العميق إنه يشبه "التصوير المقطعي" للفكرة، الذي يظهر طبقاتها الخفية ويدمج العلمي بالجمالي ولا يكتفي بعرض الأجزاء، بل يخلق علاقات جديدة بينها فأصبح التقسيم استعارة للوجود المعاصر المفتت، إذ يعيد تنظيم تشظيات الواقع في أنسقة جمالية. إنه محاولة لترميم العالم عبر اللغة هذه الرؤية الجديدة للتقسيم تنتقل به من كونه أداة بلاغية إلى كونه منهجًا رؤيويًا يخلق عوالم موازية، ويعيد تشكيل علاقتنا مع اللغة والواقع عبر تكوين أنسقة بصرية فكرية متخيلة.

الكلمات المفتاحية: أسلوب ، جمال ، التقسيم، بلاغة

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، عِدل القرآن، وتُرجمانه خلف النبي، وثقله الثاني ما ضل من تمسك بهما وبعد، .....

فإنّ المتأمل في كتاب الله العزيز يدرك يقيناً أن إعجازه لا يقف عند حدود اللفظ المفرد، بل يتعداه إلى هندسة النظم وبراعة الترتيب. ومن أظهر فنون هذه الهندسة التي تجلّت في الخطاب القرآني "فن التقسيم"؛ ذلك الفن الذي يتجاوز كونه حليّة بديعية ليصبح منهجاً معرفياً يستوعب شتات المعاني في أطرٍ محكمة، ويحصر الاحتمالات العقلية في صورٍ بيانيةٍ تأخذ بالألباب.

يمثل التقسيم في البلاغة نسقًا توليديًا لتنظيم الدلالة، يقوم على تفكيك المفهوم الكلي إلى مكونات دلالية فرعية، وفق علاقات تركيبية تحكمها آليات بيانية محددة فيتحقق عبر إنشاء شبكة من العلاقات بين المستوى الكلي للمفهوم والمستويات الجزئية المكونة له، مع الحفاظ على التماسك الدلالي فيعمد الى كسر التصنيفات المألوفة وإنشاء تصنيفات جديدة تستند إلى معايير غير نمطية تؤدي وظائف متعددة في تنظيم المعرفة في أنسقة قابلة للاستيعاب، وبناء البرهان عبر الاستقصاء الشامل، فضلا عن خلق تناظرات دلالية وتركيبية مزدوجة تجمع بين التحليل والتركيب، مما يخلق نسقًا دلاليًا جديدًا أكثر ثراء من المفهوم الأصلي فينتقل – التقسيم– من كونه أسلوبًا بيانيًا سطحياً إلى كونه منهجًا دلاليًا عميقًا لتنظيم المعرفة وتوليد الدلالات منطلقا من رؤية فلسفية ترى أن الجمال لا يكمن في الكليات المجردة فقط، بل في تفاصيلها المنظمة كاشفا بذلك عوالم خفية داخل أبسط المفاهيم.

قسم هذا البحث على ثلاثة أسفار تخللتها الآيات المباركة، احتوى الأول منها على مدخل عام يبين ماهية التقسيم في إطار نظري، بينما بين السفر الثاني: ضم شروط التقسيم، ثم اقتصر السفر الثالث على دراسة تطبيقية له مستعينا في

كل ما سبق بالمنهج التحليلي في ما أستشهد فيه الآيات المباركة في الأسفار الثلاثة، انتهت الدراسة بخاتمة ضمت أهم ما خلص إليه البحث على سبيل الفرض لا الحصر .

السفر الأول: مدخل عام في بيان التقسيم وماهيته

لقد تنبه علماء البلاغة الأوائل إلى أن التقسيم في القرآن ليس مجرد "تعدادٍ" أو "سرد"، بل هو استقصاءٌ حاصرٌ يضع كل حقيقة في نصابها، فجاء هذا البحث ليغوص في أعماق هذا الفن، مستنطقاً الآيات الكريمة للكشف عن أسرار تقسيماتها: كيف تأتلف هذه الأقسام لتخدم غرض السورة؟ وكيف يتوازى فيها اللفظ مع المعنى ليشكلا إيقاعاً يهزّ الوجدان ويُقنع الرهان؟ فالتقسيم أسلوب بلاغي يحوّل الفكرة الواحدة إلى مجموعة من العناصر المترابطة، ليس بهدف التبسيط فقط، وإنما لخلق بناء فني متكامل. فهو تشريح جمالي للمعنى يزيده روعة ووضوحاً من خلال تحويل المعاني المجردة إلى كيانات محسوسة و خلق إيقاع داخلي في النص عبر توزيع الأفكار ومن ثم إضفاء طابع الشمولية والاحاطة على الموضوع فيتولد عن ذلك علاقات جديدة بين أجزاء المعنى فهو – التقسيم– ضم مختص إلى مشترك وحقيقته أن ينضم إلى مفهوم كلي قيود مخصصة مجامعة إما متقابلة أو غير متقابلة وضم قيود متخالفة بحيث يحصل عن كل واحد منهم قسم (الجرجاني، ١٤٠٥، ٨٩)، ولننظر في أحوال المتقين وأقسامهم في قوله تعالى: **("ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ")** البقرة ٢–٤، فالإيمان بالغيب أول وصف كاشف عن أولئك المتقين، وقد اختلف المفسرون في تحديد مفردة "الغيب" فقد فسرت بأنها تشير الى الذات المقدسة، وقيل أنها تشير الى القضاء والقدر أو الى القرآن وما تضمنه من أخبار بالمغيبات، أو بما أخبر به النبي (صلى الله عليه وآله) من أشياء مما لا تهتدي اليها العقول كأشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار(ينظر: الشوكاني،١٤١٤،١/٤٠)، فقد كان لسمة الايمان بالغيب هيمنة على كل مفاصل الآية وكأنه القاسم المشترك الأكبر في باقي الصفات؛ لمدخليته في إقامة الصلاة والإنفاق والإيمان بالوحي وبالأديان السابقة وباليوم الآخر، وأول ما ينبغي لفت النظر إليه هو: "أن السورة عندما تُستهلّ بأحد الموضوعات، فإن ذلك يكشف عن كون الموضوع يحمل أهمية كبيرة يستهدف النصُّ لفت نظرنا إليه"؛ ولذلك عندما يبدأ المقطع بالحديث عن المتقين حينئذٍ نعلم أهمية هذا الموضوع كون أن التقوى هي المحصلة النهائية التي يرجى من ممارسة العمل العبادي، ويُلاحظ أن الآية قد رَسَمت خمس سمات للمتّقين، هي: "الإيمان بالغيب، إقامة الصلاة، الإنفاق، الإيمان برسالة الإسلام والرسالات السابقة، الإيمان باليوم الآخر".

فبيان التقسيم في كل شيء وتهيئة العبارة في الفروق فائدة لا ينكرها المميز ولا يخفي أن ذلك أتم للغرض وأشفى للنفس والمعنى و معرفة الشيء من طريق الجملة، غيرُ معرفته من طريق التفصيل(الجرجاني، ١٩٩١، ٥٥) قال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)** البقرة/٦٢ ، فقد قسمت الآية الناس على أربعة أقسام إذ بدأت بذكر "الذين آمنوا" ثم "الذين هادوا" ثم "الصابئين" ثم "النصارى" وفي هذا التقديم لـ "الذين آمنوا" فيه إعلاء لشأنهم وتكريم لهم، فهم أصحاب العقيدة الصحيحة من هذه الأمة كما أن فيه نوعاً من الاستطراد أو التعريض، إذ يبدأ الحديث بمن هو معروف بالإيمان (المسلمون) لينتقل إلى الحديث عن أهل الديانات الأخرى، فيكون أدعى للقبول وأبلغ في إيصال الحكم فقد استوفت الآية جميع اصناف الديانات ولم تستثن شيئا (الذين آمنوا، اليهود، الصابئين، النصارى) ليشمل الحكم الجميع، ثم يخصص هذا العموم بشرط واضح وصارم باستعمال أسلوب "مَنْ" الشرطية، ليؤكد أن المعيار الحقيقي للقبول والنجاة هو الإيمان الحق والعمل الصالح، وليس مجرد الانتساب إلى دين أو جماعة ثم تختم الآية بجزاء مطمئن يزيل كل أشكال الخوف والحزن، مما يعطي صورة كاملة عن عدل الله ورحته.

فالتقسيم كما تقدم ضم الشَّيئينِ أَو الأشياء إلى شَيء واحد مُشترَك. وبعبارة أُخرى ضم مُختصّ إلى مُشترَك. وحقيقته أَن يَنضَم إلى مَفهُوم كلي قيود مُختلفَة تجامعه إمَّا متقابلة أَو غير متقابلة والتقسيم الحقيقيّ ضم قيود متبائنة في الخُلو والاجتماع إلى مقسم والاعتباري ضم قيود متغائرة إلى المقسم كما يُقال هذا الإنسَان إمَّا كاتب أَو ضاحِك. "والفرق بينه وبين الترديد أَن ما بهِ الِاشتراك لازم في التَّقسيم دون الترديد ولهذا قالوا التَّقسيم عبارة عن إحداث الكَثرة في المَقسُوم أو إحداث الاثنينية فِي المَقسُوم" (نكري،٢٠٠٠م،٢٢٦/١)، قال تعالى: **(الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)** البقرة /٢٧٤، فقد جاء في فتح القدير للشوكاني أنها نزلت في الإمام علي (عليه السلام) كانت له أربعة دراهم فانفق بالليل درهما، وبالنهار درهما، ودرهما سرا، ودرهما علانية (الشوكاني، ١٤١٤، ٣٣٧/١) فقد قسّم الله تعالى صفات المنفق على أقسام شاملة من حيث الزمان: (ليل، نهار)، و من حيث الكيفية: (سراً، علانية)، وثم قسم الجزاء على قسمين: الثواب الإيجابي: "فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ" و السلامة من السلبيات: "وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ". فكان التقسيم في هذه الآية شاملا لجميع المستويات، وهي من أبرز محاسنها "بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ" مقابلة بين وقتين متضادين لتعميم الإنفاق في كل الأوقات "سِرًّا وَعَلَانِيَةً" مقابلة بين حالتين متضادتين من حيث العلن والخفاء، ليشمل الإنفاق كل الأحوال "وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" مقابلة بين حالتين نفسيتين متضادتين في الآخرة (الخوف من المستقبل، والحزن على الماضي)، لنفي كل أنواع الهم والقلق عنهم.

أما السكاكي فقد عد التقسيم فرعا من فروع علم البديع الذي يكسو الكلام حلة التزيين إذ يقول: "وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها، وأن الفصاحة بنوعيها مما يكسو الكلام حلة التزيين ويرقيه أعلى درجات التحسين"، فها هنا وجوه مخصوصة كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير على الأعرف منها، وهي قسمان: قسم يرجع على المعنى وقسم يرجع على اللفظ. ثم ذكر التقسيم معرفا به: وهو ان تذكر شيئا ذا جزأين أو أكثر، ثم تضيف الى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك (السكاكي،١٩٨٧، ٤٢٣)، في حين عده بدر الدين بن مالك من ضمن قسم " فيما يرجع الى الفصاحة المعنوية" قائلا: "أن تتعلق نسبة منطوق الكلام أو مفهومه بمعنى له أقسام عندك، أو في نفس الأمر، فتورد في الذكر ما يستوعبها من متعلق تلك النسبة أو مغن عنه، غير مقتصر على ذكر بعض الأقسام، ولا مكتف بالإجمال" (بن مالك،١٩٨٩، ٢١٢) وهذا من شانه أن يفصل بعد أن يجمل، ويوضح بعد أن يوهم، إذ أن في ذكر المتعدد ثم إتباعه بتفصيل أحواله، أو ذكر الشيء ومن ثم استيفاء أقسامه، زيادة المعنى فخامة وتأكيدا؛ لكونه ذُكر مرتين على هيأتين مختلفتين، ونلحظ ذلك جليا في قوله تعالى: **(زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنْ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنْ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ)** آل عمران/١٤، فقد قسم النص القرآني شهوات الناس على أربعة أقسام رئيسة، تغطي جميع مناحي الحياة يجد الإنسان في طلبها من بلوغه إلى حين وفاته وهي: متعة الجسد والنسل: النساء، البنين، و متعة الثروة والادخار: الذهب، الفضة، و متعة القوة والمنزلة الاجتماعية: الخيل المسومة، و متعة الغذاء والاستقرار الاقتصادي: الأنعام، الحرث، وهذا التقسيم الشامل يجعل كل إنسان يشعر أن الآية تخاطبه مباشرة من خلال التدرج في التقسيم فابتدأ بأقرب الشهوات إلى قلب الإنسان وهي غريزة حب النساء والتوالد من البنين والبنات، ثم انتقل إلى ما يجمعه ويقتنيه (المال)، ثم إلى ما يعزز مكانته (الخيل)، ثم إلى ما يُقَوم به معيشته من (الأنعام والحرث) مستعملا في ذلك خلق صورة بصرية في مخيلة المتلقي وكأنه يرى تلك الزينة وبهذا يكون السياق قد ذكر أصناف الشهوات مرتين، الأولى بصورة مجملة بلفظ "الشهوات" والثانية بذكر تفصيلاته. وهذه أقسام الشهوات التي ينسل الناس إليها صنفا صنفا بالتعلق بواحد منها و جعله أصلا في اقتناء مزايا الحياة، وجعل غيره فرعا مقصودا بالقصد الثاني، "و قلما يوجد من الناس من ساوى بين جميعها، و قصد الجميع قصدا أولا معتدلا، و أما مثل الجاه و المقام و الصدارة و نحوها فهي جميعا أمور وهمية بالحقيقة إنما تتعلق الرغبة إليها بالقصد الثاني لا يعد الالتذاذ بها التذاذا شهويا، على أن الآية ليست في مقام حصر الشهوات و من هنا يتأيد ما تقدمت الإشارة إليه من أن المراد بحب

الشهوات التوغل و الانغمار في حبها و هو المنسوب إلى الشيطان دون أصل الحب المودع في الفطرة و هو المنسوب إلى الله سبحانه" (الطباطبائي،١٩٩٧، ١٢٢/٣).

ومن البديهي أن ذكر الشيء من دون تفصيل أحواله يشوق النفس لمعرفتها، ويلهب الفكر فإذا ما جاءت الأقسام مفصلة والأحوال مبينة ثبتت في الذهن، وتمكنت في النفس، للحصول عليها بعد شوق وطلب وكد (ابو ستيت،١٩٩٤، ٢٤٤) ونرى ذلك واضحاً في أسلوب التقسيم الذي تضمنه قوله تعالى : **("يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ")** آل عمران / ١٠٦-١٠٧، فقد قُسم الناس في يوم القيامة على فئتين رئيستين متقابلتين تماماً لا ثالث لهما من خلال استعمال رمزية الألوان وما تحمله من صفات مرئية مركوزة في لا وعي المتلقي وهي صفة البياض التي تنم عن الراحة والطمأنينة، فمتى ما ذكر البياض عكس حالة الاستقرار، على الضد من صفة لون السواد، ثم ركزت على تفصيل حال القسم الثاني الخاسر ذوي الوجوه السوداء وما يحمله اللون الأسود من دلالة الخسران والتشاؤم موضحة سبب هذا الخسران وهو الكفر بعد الإيمان ونتيجته العذاب، وهذا التقسيم البديعي يجعل المعنى واضحاً جلياً، ويؤثر في نفس السامع، ويخلق صورة لا تنسى عن عواقب الكفر والارتداد. فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه، وابيضت صحيفته وأشرقت، وسعى النور بين يديه وبيمينه، ومن كان من أهل ظلمة الباطل وُسِمَ بسواد اللون وكسوفه وكمده، واسودّت صحيفته وأظلمت، وأحاطت به الظلمة من كل جانب. نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل وأهله فيقال لهم: أَكَفَرْتُمْ، والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم (الزمخشري،١٤٠٧،٣٩٩/١).

يُعد أسلوب التقسيم من عوامل ترابط الأسلوب واتحاد أجزائه فأوله متصل وآخره مرتبط بأوله، وكل كلمة فيه آخذة بعنق صاحبتها، إذ الفائدة متوقفة على الكلام جميعه، ومعلقة بالانتهاء منه وفي التقسيم تناسق صوتي بديع ينشأ من الجمل المتساوية، والأقسام المحددة، وما فيها من توازن وسجع غالبا، وحصر أقسام الشيء واستيفائها بالذكر له أثر جليل في تثبيت المعاني وتمكينها، حيث يحاط بالشيء من كافة أقسامه، ويحصر من جميع وجوهه، فلا يبقى أمام العقل إلا أن يسلم بما عرض عليه، ويتفرغ لهضمه واستيعابه (ابو ستيت،١٩٩٤،٢٤٤) ولنأخذ مثالا على ذلك آية المحرمات من النساء في قوله تعالى : **("وَلاَ تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتاً وَسَاءَ سَبِيلاً حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنْ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمْ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً")** النساء/٢٢-٢٤، فإننا نلحظ الترتيب المنطقي إذ بدأ بأعظم المحرمات (نكاح ما نكح الآباء) ثم انتقل إلى المحرمات بالنسب، ثم بالرضاع، ثم بالمصاهرة، ثم بالجمع، ثم بالمحصنات وهذا يدل على الاستقصاء والشمول فقد غطت الآيات جميع أنواع المحرمات بشكل شامل لا يكاد يترك شيئاً ومن ثم بدأ التحريم بالتدرج من الخاص إلى العام ببعض التفصيل ثم ختم بالإباحة العامة ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ مما يسهل الحفظ والفهم، ثم ختمت الآية بالرحمة بعد سرد المحرمات في قوله تعالى ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ وبصفة المغفرة والرحمة، ثم فتح باب الحلال، فالتشريع جاء في صورة تقسيمات متدرجة ومنطقية، تضمن خمس تقسيمات في التحريم، في حين جاء القسم السادس في إباحة كل ما عدا هذه التقسيمات الخمس، فكان القسم الأول: التحريم بسبب المصاهرة، إذ حُرِّم ما حُرِّم بسبب علاقة الرجل بزوجته ويشمل أربعة أصناف: زوجات الآباء لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، و أمهات الزوجات لقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾، و

الربائب أي بنات الزوجة لقوله تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ (ويستثنى من لم يدخل بأمها)، و زوجات الأبناء لقوله تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ .

أما القسم الثاني: التحريم بالنسب وهذا القسم واضح في جمع أصناف القرابة ويشمل ثمانية أصناف: الأمهات لقوله تعالى:﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾، والبنات لقوله تعالى:﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾، والأخوات لقوله تعالى:﴿وَأَخَوَاتُكُمْ﴾، والعمات لقوله تعالى:﴿وَعَمَّاتُكُمْ﴾، والخالات لقوله تعالى:﴿وَخَالَاتُكُمْ﴾، وبنات الأخ لقوله تعالى:﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ﴾، وبنات الأخت لقوله تعالى:﴿وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾، أما القسم الثالث: التحريم بالرضاع وهذا قسم مستقل، يبين أن حكم الرضاع كحكم النسب في التحريم ويشمل صنفان: الأمهات من الرضاعة لقوله تعالى:﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾، و الأخوات من الرضاعة لقوله تعالى:﴿وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾، أما القسم الرابع: فهو التحريم بالجمع وهذا تحريم للحكمة الاجتماعية والنفسية ويشمل صنفا واحدا: الجمع بين الأختين لقوله تعالى:﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾، أما القسم الخامس: التحريم بسبب الزواج (المحصنات) وهذا قسم يختص بالنساء اللواتي في عصمة غيره ويشمل صنفا واحدا وهو المحصنات من النساء (المتزوجات) لقوله تعالى:﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ و يستثنى من ذلك (في تشريع ذلك الوقت): ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ وهن (الإماء من السبي)، أما القسم السادس: الإباحة العامة (خاتمة التقسيم) لقوله تعالى:﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ فالترابط بين أجزاء الكلام واضحا في تحديد ما حرم من النساء على الرجل فكانت الفائدة متوقفة على جميع أجزاء الكلام وحصر جميع أصناف المحرمات من النساء.

وبلغة هذا السفر أن التقسيم هو أسلوب بياني يُقَسِّم فيه النص القرآني الفكرة الرئيسة أو الكلية إلى أجزاء أو أقسام مترابطة ومتسقة، من أجل توضيح الفكرة، وإبراز جوانبها المختلفة، وترتيبها بشكل منطقي أو متصاعد، مما يسهل على السامع فهمها واستيعابها، ويقوي أثرها الإقناعي أو الوجداني وبعبارة أخرى، هو "تفكيك" المعنى إلى عناصره المكونة لعرضه بطريقة أكثر تنظيماً ووضوحاً وقوة.

السفر الثاني: شروط التقسيم

يخضع التقسيم بكونه لونا من ألوان البديع البلاغية الى الذوق والجمال شأنه شأن الفنون البلاغية الأخرى وقد عابت العرب قديما كثرة التكرارات التي توقع بالشاعر او الكاتب في فخ التطويل والحشو الذي لا طائل من وراءه وعدته – الحشو– من معايب الكلام، ومن شروط التقسيم الأساسية أن تستوفي الأقسام كلها وما ورد من هذا الفن في النصوص القرآنية مستوفيه لهذ الشرط ، فلا تكرار فيما ورد كقوله تعالى: **("وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً")** النساء/٩٢–٩٣، فقد قسم القرآن الكريم وقوع القتل على قسمين: متعمدا، أو خطأ، وجعل التعويض عن وقع هذا الفعل في قسمين: تحرير رقبة مؤمنة، أو دفع الدية وهذه الأحكام تتناول أربع حالات: "ثلاث منها من حالات القتل الخطأ– وهو الأمر المحتمل وقوعه بين المسلمين في دار واحدة– دار الإسلام– أو في ديار مختلفة بين شتى الأقوام– والحالة الرابعة حالة القتل العمد وهي التي يستبعد السياق القرآني وقوعها ابتداء". فليس من شأنها أن تقع، إذ ليس في هذه الحياة الدنيا كلها ما يساوي دم مسلم يريقه مسلم عمداً وليس في ملابسات هذه الحياة الدنيا كلها ما من شأنه أن يوهن من علاقة المسلم بالمسلم إلى حد أن يقتله عمداً وهذه العلاقة التي أنشأها الإسلام بين المسلم والمسلم من المتانة والعمق والإعتزاز إذ لا يفترض الإسلام أن تخدش هذا الخدش الخطير أبداً.

وللقتل الخطأ توضع التشريعات والأحكام، وقد قسمت هذه التشريعات على ثلاثة أقسام، أولها: "أن يقع القتل على مؤمن أهله مؤمنون في دار الإسلام ويجب في هذه الحالة تحرير رقبة مؤمنة، ودية تسلم إلى أهله فأما تحرير الرقبة المؤمنة، فهو تعويض للمجتمع المسلم عن قتل نفس مؤمنة باستحياء نفس مؤمنة وكذلك هو تحرير الرقاب في حس الإسلام". وأما الدية فتسكين لثائرة النفوس، وشراء لخواطر المفجوعين، وتعويض لهم عن بعض ما فقدوا من نفع المقتول.. ومع هذا يلوح الإسلام لأهل القتيل بالعفو، والقسم الثاني: "أن يقع القتل على مؤمن وأهله محاربون للإسلام في دار الحرب.. وفي هذه الحالة يجب تحرير رقبة مؤمنة لتعويض النفس المؤمنة التي قتلت، وفقدها الإسلام. ولكن لا يجوز أداء دية لقومه المحاربين، يستعينون بها على قتال المسلمين"! ولا مكان هنا لاسترضاء أهل القتيل وكسب مودتهم، فهم محاربون، وهم عدو للمسلمين.

أما الحالة الثالثة: "أن يقع القتل على مؤمن قومه معاهدون– عهد هدنة أو عهد ذمة– ولم ينص على كون المقتول مؤمناً في هذه الحالة. مما جعل بعض المفسرين والفقهاء يرى النص على إطلاقه. ويرى الحكم بتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله– المعاهدين– ولو لم يكن مؤمناً. لأن عهدهم مع المؤمنين يجعل دماءهم مصونة كدماء المسلمين، أما القتل العمد فلا كفارة له. لأنه وراء الحسبان! ووراء حدود الإسلام" (الشاربي،١٤١٢، ٢/٧٣٥–٧٣٦)

أما فساد التقسيم يكون إما بتكرير المعاني كما كتب بعضهم "فكرت مرة في عزلك وأخرى في صرفك وتقليد غيرك وأما مدخول الأقسام بعضها ببعض وإما بإخلال (الخوارزمي، ١٩٨٩، ٩٨)، أي لا يصح– التقسيم– في شيء من الأشياء إلا إذا اختص كل قسم من الأقسام بصفة لا يختص بها غيره، وإلا كان التقسيم لغوًا لا فائدة فيه (ابن الاثير، د.ت، ٨٨/٢)، وقد ذكر فن التقسيم ابي هلال العسكري وابتدأ بذكر صحة التقسيم بقوله: التقسيم الصحيح: أن تقسّم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه ثم شرع بذكر ما يدل على ذلك من كتاب الله المجيد وانتقل الى ما أوثر من كلام العرب، ثم انتقل بعد ذلك الى عيوب التقسيم معتبرا أن تداخل الاقسام وعدم استيفاء ذكرها من معايب التقسيم (العسكري،١٩٥٢، ٣٤١) ، فالتقسيم بِعَدِّه فناً بلاغياً لا يهدف الى البرهنة المنطقية الجافة – كما في علم الكلام– أو استنباط الأحكام – كما في علم الأصول– بل يهدف إلى تحقيق تأثير فني وإقناعي في نفس المتلقي من خلال التوضيح والإيضاح، فهو يجعل الفكرة المعقدة سهلة الفهم بتفكيكها إلى أجزاء بسيطة ومتسلسلة يسهل على القارئ أن يتوصل الى مراده بسهولة ويسر، وقد يساعد على ذلك التأكيد المتولد عن التقسيم من خلال تكرار هيكل الجملة عند ذكر كل قسم، يخلق التقسيم إيقاعًا يؤكد المعنى في ذهن السامع ثم يقنعه بما يقدم اليه من حجة بشكل شامل ومنظم، فيبدو المتكلم وكأنه غطى جميع جوانب الموضوع، مما يزيد من مصداقيته وقوة حجته فضلا عن أن التقسيم يسهل الحفظ والاستدعاء، فالكلام المقسّم والمترابط أسهل للحفظ وأبقى في الذهن وأكثر جمالا و تناسقًا وتوازنًا فيضفي على الكلام جمالاً وقوة.

السفر الثالث: دراسة تطبيقية للتقسيم

يعدُّ التقسيم في حقيقته عمليّة تجزئة لكل الأمر المتحدث عنه، أي أنَّ المتكلم يذكر حكماً كليّاً، ثم يشرع في تقسيمه من خلال ذكر أجزائه التي لا يخرج عنها، دون أن يكون هناك ارتباطٌ شَرطيٌّ سابقٌ بين هذه الأجزاء وعناصر أخرى من خلال ذكر مُتَعَدد ثمَّ إِضَافَة مَا لكل إِلَيْهِ على الْيَقِين بِخِلَاف اللف والنشر فَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِضَافَة فَبين التَّقْسِيم واللف والنشر تبَاين، وَيوجد للتقسيم أَيْضًا مَعْنيانِ آخرَانِ. أَحدهمَا: اسْتِيفَاء أَقسَام الشَّيْء كَقَوْلِه تَعَالَى {يهب لمن يَشَاء إِنَاثًا ويهب لمن يَشَاء الذُّكُور أَو يزوجهم ذكرانا وإناثا وَيجْعَل من يَشَاء عقيما} . وَالثَّانِي: ذكر أَحْوَال الشَّيْء مُضَافا إِلَى كل من تِلْكَ الْأَحْوَال مَا يَلِيق بِهِ (نكري،٢٠٠٠م،٢٢٦/١). ومن ذلك قوله تعالى: **(الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)** آل عمران/١٩١، فقد استوعب

التقسيم جميع الحالات التي يكون عليها الانسان من قيام وقعود أو على أحد الجنبين وفي هذا التقسيم اشعار للمؤمنين باستحباب ديمومة ذكر الله على كل حال حتى يكون ذكره – جلَّ في علاه– عادة للمؤمنين لا يشترط فيه ما يشترط في الصلاة –مثلا– من وضوء واستقبال للقبلة وغيرها من شرائط الصلاة، حتى لا يشق على الأمة أن تذكر ربها ولا يكون لهم سببا في التباطؤ عن ذلك، ولفظ " الذكر" الوارد في الآية بحسب الحقيقة ليس مقصورا في اللفظ، بل هو أمر يتعلق بالحضور القلبي واللفظ حاك عنه، فيمكن أن يتصف بالكثرة من حيث الموارد بأن يذكر الله سبحانه في غالب الحالات (ينظر: الطباطبائي،٤،١٩٩٧/٨٩) .

ومن التقسيم الشمولي الحاصر في قوله تعالى : **("سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ")** المائدة/٤٢، إن ورود صيغة المبالغة "فعّال" بصورتيها "سَمَّاعُونَ" و "أَكَّالُونَ" لتدل على أن المقصود ليس مجرد السمع أو مجرد أكل السحت؛ بل إن هذه الرذائل بلغت ذروتها في القبح من خلال استعمال صيغة المبالغة التي أفادت الاعتياد والتكرار؛ فهم لا يسمعون الكذب صدفة، بل هم "سماعون" كثيرو السماع بلهفة ، ولا يأكلون الحرام نادراً، بل هم "أكالون" نَهِمون فيه مما جعل التقسيم القائم على هذه المبالغة يهيئ القارئ ذهنياً لقبول النتيجة الإعراض عنهم ؛ لأن من بلغت صفاته هذا الحد من الفساد المستحكم، لا يستحق عناء التوجيه إلا بمشيئة الحاكم.

اقد قسمت الآية أصول الرذائل من قول الزور وأكل الحرام، ثم انتقلت الى تقسيم أصول التعامل من البتّ أو الترك بكلمات معدودة، حصر القرآن الكريم من خلالها تشخيص الحالة النفسية للخصوم ووضع استراتيجية التعامل معهم، وهذا هو جوهر التقسيم الحاصر، فقد إستهلت الآية الكريمة بتقسيم الأوصاف القائم على الملازمة بين السماع للكذب وهو قسم من أقسام الرذائل المعنوية وأكل السحت الذي هو قسم من اقسام الرذائل المادية لبيان ازدواجية الفساد العقدي والفساد المالي، إذ جعل استقبال الكذب مقدمة وصفة ملازمة لأكل السحت في تقسيم استقصائي لنفسية الفاسد؛ فمن هان عليه الحق (بالكذب) هان عليه المال الحرام (بالسحت). وصيغة المبالغة (فعّال) في القسمين تدل على التكرار والاستمرار. ثم انتقل الآية الى تقسيم آخر مقرونا بالحرف "أو" التي تفيد التخيير، وهو تقسيم يمنح القائد (الرسول ﷺ) مرونة سياسية وتشريعية. هذا التقسيم ليس عشوائياً، بل هو محصور بين خيارين لا ثالث لهما في تلك الحالة فكان التقسيم الأول بمثابة العِلّة التي سوّغت التقسيم الثاني التخيير في الحكم؛ فبسبب بلوغهم الغاية في الكذب وأكل الحرام، رُفع الحرج عن النبي ﷺ في اختيار وسيلة التعامل معهم، لأنهم فقدوا أهلية "الطلب الملزم" للعدل لعدم التزامهم هم به.

ونلحظ براعة التقسيم في آية القصاص التي تكمن في قدرة النظم على تفتيت الكليات إلى جزئيات دقيقة؛ ليوحي للمخاطب أن العدل الإلهي لا يغفل عن أصغر العيوب، تماماً كما لا يغفل التقسيم البلاغي عن أي جزء من أجزاء المعنى في قوله تعالى: **("وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الظَّالِمُونَ")** المائدة/٤٥، فقد تجلت هندسة التقسيم في هذه الآية بأبهى صورها من خلال الاستقصاء، والترتيب، والمقابلة، بدأت الآية بالتقسيم التفصيلي من خلال تقديمها ذكر النفس على سائر الأقسام لعدة اعتبارات منها : أن النفس هي الجامع لهذه الأقسام تحيا هذه الأقسام بحياتها وتموت بمماتها، ثم انتقلت الى ذكر الأعضاء تقسيما جزئيا العين، الأنف، الأذن، السن؛ وهنا استعمل القرآن فن "التقسيم الاستقصائي" للأعضاء التي يقع فيها القصاص عادةً، ثم بدأ بالأهم (النفس) ثم تدرج إلى الحواس (البصر، الشم، السمع) ثم إلى آلات الطعام والدفاع (السن)، ليختم بالقسم العام (والجروح قصاص) ليشمل كل ما لم يُذكر صراحة. هذا الانتقال من الخاص إلى العام بعد التفصيل يغلق باب التهرب من العدالة كما أن لتكرار حرف الباء في الآية للمقابلة في كل قسم

يؤكد على معنى المساواة المطلقة؛ فالتقسيم اللفظي هنا يخدم "العدل التشريعي"، فكما تساوت الكلمات في النظم، تساوت الدماء والأعضاء في القصاص.

ومن التقسيم الثنائي قوله تعالى: **("وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ")** الانعام/١٤١، إذ حصر بثنائيته جميع أنواع الكروم والبساتين فالمعروشات هي التي رُفعت أغصانها على عريش بصناعة بشرية ، وغير المعروشات هي القائمة على أصولها أو المنبسطة في الأرض بقدرة إلهية خالصة فاستوعب كل أشكال الزراعة على وجه الأرض، ليثبت أن الله هو "المنشئ" لكليهما؛ سواء ما تدخل فيه جهد البشر أو ما انفردت به الطبيعة فالأرض واحدة والماء واحد، لكن الثمار تنقسم إلى آلاف الطعوم والألوان، وهذا من أقوى أدلة الحجاج البلاغي على وجود الخالق المختار، وهذا التقسيم يثير في النفس "التعجب والتدبر"؛ فكيف يتشابه الشجر وتختلف الثمار؟ إنه تقسيم يجمع بين المؤتلف والمختلف في سياق واحد لبيان كمال القدرة فبدأ بالانتفاع الشخصي ليُحبب العبد في النعمة، ثم أتبعه بحق المساكين ليربط النعمة بالشكر، ثم ختم بالنهي عن الإسراف ليحفظ النعمة من الزوال ثم ختمت الآية بالفاصلة التي مثلت قاعدة التقسيم؛ فكلٌ من خرج عن حدّ "الأكل المشروع" و"الإيتاء الواجب" دخل في دائرة "الإسراف" المنبوذة، فالتقسيم هنا وضع العباد بين فئتين: مقتصد شاكر يحبه الله أو مسرف جاحد لا يحبه الله .

ولعل التقسيم في حصر الأطعمة المحرمة بأربع أقسام بطريق الحصر والاستثناء هو تقسيمٌ حِجاجي؛ استُعمل فيه الحصرُ لنسفِ التقسيمات التي سبقته، ليجمع بين طهارة الأبدان وتزكية الأرواح في نصٍّ واحد" وقد ساعد هذا التقسيم في منع دخول غيرها من الاطعمة فيها، قال تعالى: **("قُلْ لاَ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ")** الانعام/١٤٥، فقد حصر التقسيم المحرمات من الأطعمة في أربعة أصناف: الميتة، الدم، لحم الخنزير، ما أهل لغير الله به . ولم يكن هذا التقسيم سردا مجردا بل كان بسبب الرجس، الذي قسم هذه الاصناف الاربعة على قسمين: الاول: الرجس الذي يكون في ذات المحرم وقسمه على : المَيْتَةَ، و الدَم المَسْفُوح، و لَحْمَ الخِنزِير؛ ثم أتبعها بوصف كلي وجامع يجمعها وهو الرِجْس. فكان تقسيما مبنيا على "النجاسة الحسية" والضرر البدني. أما الثاني: فهو الرجس الذي يكون بسبب الفساد العقدي(أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) هذا القسم منفصل عما قبله من حيث العلة؛ فالذبيحة قد تكون طاهرة حسياً ليست ميتة، لكنها "رجس معنوي" لأنها ذُبحت لغير الله. هذا التقسيم الثنائي يحيط بكل أسباب التحريم الشرعي، فلا يخرج عنها محرّم. ساعد في ذلك استعمال حرف العطف (أو) الذي يفيد "التنويع والتقسيم"؛ فكلٌ صنف منها كافٍ وحده للتحريم مع زيادة تخصيص الخبث بلحم الخنزير للتأكيد على نجاسته من خلال عود الضمير في " **فَإِنَّهُ رِجْسٌ**" على المعطوف القريب" **لَحْمَ خِنزِيرٍ**" فالتدرج التشريعي من الأعم الى الاخص وهو تقسيم يغطي دائرة الحياة اليومية للمخاطبين.

ومن تقسيم المحرمات من الأطعمة الى تقسيم الناس في يوم الحشر والحساب، "، إذ قُسّم الناس فيه بحسب معيار "الوزن" على فئتين لا ثالث لهما، بأسلوب يجمع بين دقة الحساب ونهاية المصير تقسيما حاصرا ثنائيا فقد بدأت الآية بتثبيت حقيقة كلية لتصبح قاعدة للتقسيم الثنائي وهي تقرير حقيقة الحساب يوم القيامة بقوله تعالى : **(وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ)** الاعراف/٨-٩، ففي ذلك اليوم ينقسم الناس على قسمين: أصحاب الموازين الثقيلة الذي زاد اسم الفاعل في ثبوت صفة الفلاح لهم، و أصحاب الموازين الخفيفة الذي زاد استعمال الفعل الماضي معهم ليدل على تحقق وقوع الخسارة لحظة مغادرتهم دار الدنيا؛ بسبب العلة التي ذكرتها الآية " **بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ**" فكان هذا التقسيم مشفوعا بالتفصيل والتعليل .

ومن التقسيم الثنائي الحاصر قوله تعالى: **(قُلْ أَنفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ)** التوبة/٥٣-٥٤، المحور الموضوعي للآية هو إنفاق الفاسقين والمنافقين، فقد بدأت الآية بتقسيم ثنائي لحالات إنفاقهم وهي على قسمين : الإنفاق الطوعي أو الإنفاق كراهية، ثم أبطل التقسيم في نتيجته هذين القسمين، أي أنه ساوى بين حالات صور الانفاق بالبطلان، ثم بينت الآية الثانية علل البطلان برز فن التقسيم في هذين الموضعين كأداة شخصت حال الفسقة بتقسيم أحوالهم بين كسل الأبدان وشح الأنفس، ثم قدم العلاج ببيان أن قبول العمل مشروطٌ بالإيمان لا بتعدد الأشكال "طوعاً أو كرهاً".

إنَّ التلوّنَ البلاغي في توظيف التقسيم في القرآن الكريم يُثبتُ أنَّه ليس مجردَ تعدادٍ للأجزاء، بل هو نظامٌ معرفيٌّ محكمٌ؛ تارةً يكونُ ميزاناً للحقوق، وتارةً مِشرحاً للنفوس، وتارةً محراباً للتدبر، وفي كلِّ أحوالِهِ يظلُّ شاهداً على أنَّ هذا الترتيبَ لا يصدرُ إلا عن حكيمٍ خبير أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، وفصَّلَ كلَّ شيءٍ تفصيلاً.

الخاتمة

إن دراسة "فن التقسيم" في القرآن الكريم هي محاولة لفك رموز "النظام الإلهي" في مخاطبة العقل البشري، وتبيان كيف طوّع الوحي اللغة العربية—على اتساعها—لتصبح قوالب دقيقة لا يخرج عن حدودها معنى، ولا يشذ عن ترتيبها مقتضى، إثباتاً لقوله عز وجل: **(كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ)**، ومن اهم النتائج التي أستطيع أن أثبتها على متن البحث عل سبيل المثال لا الحصر :

١. إنَّ التقسيم القرآني لا يترك "قسماً" عقلياً أو واقعياً إلا وأورده.
٢. إن القرآن يستعمل التقسيم لحصر الاحتمالات، مما يغلق باب التأويل الخاطئ، مثل (تقسيم الورثة) الذي مر في ثنايا البحث .
٣. إن التقسيم في القرآن ليس مجرد حصر رياضي للأشياء، بل هو أداة بيانية تهدف إلى استيعاب المعنى، وتثبيت الحجة، وترتيب الحقائق في ذهن المتلقي.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، دار الكتاب العربي – بيروت، ط١ ، ١٤٠٥.
٢. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م .
٣. دراسات منهجية في علم البديع، دكتور الشحات محمد ابو ستيت، دار خفاجي للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٤/١٩٩٤م .
٤. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١ ، ١٤١٤ هـ.
٥. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت ١٣٨٥هـ)، دار الشروق – بيروت– القاهرة، ط١٧ ، ١٤١٢ هـ .
٦. كتاب أسرار البلاغة، الامام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني(ت٤٧١هـ)، دار المدني ، جدة، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
٧. كتاب الصناعتين ، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري(ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية،ط١ ،١٩٥٢م.
٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ .
٩. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة،ط٢، د.ت .
١٠. المصباح في المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك، تحقيق: دكتور حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز، المطبعة النموذجية، ط١، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
١١. مفاتيح العلوم، : محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله، الكاتب البلخي الخوارزمي (ت: ٣٨٧هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط٢، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
١٢. مفتاح العلوم، ابو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي(ت٦٢٦هـ)،دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
١٣. الميزان في تفسير القرآن، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.